جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي

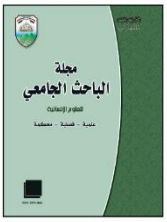

الترابط النصي في خبر ثأر الشاعر امرئ القيس
دراسة في ضوء علم اللغة النصي

عبداللطيف بن علي عريشي
وزارة التعليم، الرياض، السعودية

الملخص:

يكشف هذا البحث عن الترابط النصّي في خبر رحلة امرئ القيس في طلب ثأر أبيه من بني أسد برواية ابن الكلبي، في ضوء علم اللغة النصي؛ كون الترابط النصي وسيلة فعالة في بناء الكلام، وقائمة على الاتساق الناتج عن العلاقات القائمة بين أجزاء النص وأدواته؛ والانسجام الناتج عن العلاقة المعنوية الخاصة بين جمل العبارة أو النص؛ لأن الجملة العربية ما هي إلا مقولة قول تركيبية، والترابط فيها علاقة دلالية. وغايتنا في ذلك معرفة أثر ذلك الترابط في انسجام النص واتساقه، عن طريق تأويل العلاقات القائمة بين الوقائع. وسيتناول البحث هذا الموضوع من ناحيتين؛ الأولى الروابط اللفظية، والأخرى الروابط المعنوية؛ ليخلص البحث إلى أن هذا الخبر عبارة عن متوالية نصية تحوي العديد من المتلازمات اللفظية التعبيرية المكونة من الجمل والعبارات ذات الدلالات المتواترة في ترابط سياقها البنائي؛ إذ أسهمت فيه جملة من الروابط المتكاتفة الآخذة بعضها بحجز بعض، لترصف بناء متناسقًا كليًا نابعًا أو مبنيًا من توالي هذه الروابط اللفظية، وما تربط من مفاهيم جزئية تعمل على إيصال رسالة النص وفق إطارها العام. وقد تمكن بها الراوي من إيصال مضامينه إلى المتلقين عبر رسالة واضحة تكاملت شكلًا ومضمونًا في حبكة ذات سلاسة وحراك ينتهي إلى نهاية مصيرية مأساوية.

Abstract

This research reveals the textual cohesion in the predicate of Imru'al-Qays' journey in his father's request to avenge Bani Asad with Ibn Al-Kalbi's narration, in the light of textual linguistics, as an effective means of constructing speech based on harmony resulting from the existing relationships between the parts of the text and its tools. The textual cohesion searches for the special moral relationship between the phrase or text phrases, because the Arabic sentence is nothing but a syntactic saying, and its cohesion has a semantic relationship. Our aim in this is to identify the effect of that cohesion on the harmony and consistency of the text, by interpreting the existing relationships between facts. This research has two aspects: the first is the verbal cohesions, and the other is the moral cohesions. The research concludes that this predicte is a textual sequence rich of many expressive verbal equivalences consisting of sentences and expressions of frequent connotations in the cohesions of their constructive context. Contributed in it with a number of joining cohesions, taking each other with unity, to describe a completely consistent concept stemming from or built from the sequence of these verbal cohesions, and the partial concepts that link the message of the text according to its general framework. The narrator, in it, was able to communicate his contents to the recipients in the content of a clear message that integrated form and content in a smooth plot and movement ending to a tragic fateful end.

الكلمات المفتاحية: الترابط النصي، الخبر، امرؤ القيس، علم اللغة النصي، الروابط اللفظية، الروابط المعنوية

Keywords: Textual Cohesion, Predicate, Imru'al-Qays, Textual linguistics, Verbal Cohesions, Moral Cohesions

مقدمة:

توافر للغة العربية ثراء لغوي غزير شرّفها الله تعالى به حين قال في محكم التنزيل ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[الزمر:28]. وقال جلّ من قائل عليم: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل: 103] . ولم يتوفر مثل هذا الثراء والقدرة على الإفصاح والبيان، والقدرة على التعبير للغة أخرى غير العربية، كل ذلك من خلال سياقات متنامية جديدة قابلة للتوائم والانسجام.

وقبل الدخول في مفهوم الترابط، نعرّف بالعلم الذي ينتمي إليه، وهو علم اللغة النصي: وهو فرع من علم اللغة يهتم بدراسة النص بوصفه وحدة عضوية كبرى، ودراسته من جوانب عدّة أهمّها الترابط أو التماسك، ووسائله اللفظية والمعنوية، والإحالة، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص، والمرسل، والمستقبل[1].

ويبحث الترابط النصي عن العلاقات المعنوية واللفظية التركيبية الخاصة بين جمل العبارة أو النص؛ ذلك لأن الجملة العربية ما هي إلا مقولة قول تركيبية، ـوالترابط فيها علاقة دلالية، إذن فالترابط النصي هو عبارة عن أصناف القيود المحددة للحدوس الدلالية للجمل والخطابات[2].

إن عملية الترابط النصي في اللغة لا تحدث بطريقة عشوائية، وإنما تحكمها شروط لعل منها:

1. وضوح العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجملة أو العبارة أو النص.
2. ضرورة وجود تعالق وقائعي شامل تشير إليه القضايا أو المفاهيم الدلالية المتضمنة في النص.
3. إخضاع العلائق لترتيب نسقي زمني مقنع لمتلقي الخطاب.
4. الترتيب الزمني بوصفه شرطًا يتطلب أيضًا شرطًا آخرَ هو تعالق الأمكنة.

مما تقدّم من شروط الترابط النصي وتضافرها، نحصل على خطاب موضوعي مقنع تتوفر فيه فوائد حمل الرسالة أو المضمون، ما يمكننا أن نستخلص الحقيقة الآتية، وهي: تكون الجمل مترابطة وذات إفادة دلالية عالية إذا كانت الوقائع التي تشير إليها قضاياها متعالقة في عوالم متعالقة[3].

إن من أقوى شروط ترابط النص توافر علاقة السبب والنتيجة؛ إذ إن تركيب الجملة يوحي إليك -بوصفك متلقيًا للخطاب - أن جزء الكلام الأول هو سبب لحصول جزئه الثاني أو الجملة الثانية. ولعل هذا أمر متوافر في سياقات خطابية لغوية نحوية عدّة فيما يعرف في النحو العربي بأسلوب الشرط.

ولترسيخ مفهوم الترابط التعالقي في أجزاء الجملة أو الخطاب؛ نجد أن علم اللغة النصي يلجأ إلى ما يسمى بـ(النشاط) المتماثل في أجزاء الخطاب[4]، وبمثال بسيط من خبر امرئ القيس يمكننا تركيب جملة على النحو التالي:

(خرج امرؤ القيس هذه المرة ليأخذ ثأر أبيه).

فليحصل للفاعل مراده الذي هو أخذ ثأره من أعدائه. وبقليل من التمعن، يمكن من هذه العلاقة الترابطية أن يخرج القارئ من النص بدلالة إيحائية نتجادلها في أذهاننا عن شكل هذا الخروج مع ما كان في السابق من أنواع الخروج الماجن، كما يجعلنا نجرد لهذا الخارج صورة بطل مدجج شاكي السلاح والعتاد، بل يمكن أن يفتح كل ذلك صورته وهو يتقاذف الوهاد والنجاد مستوزرًا بمن معه، قاصدًا مرماه الذي لا يصل إليه مباشرة، وإنما من خلال طلبه المساعدة من سادات القبائل وفرسانها.

إن مثل هذا التصور الترابطي ما كان لينتج إذا لم نرتّبه على تأويل العلاقات القائمة بين الوقائع[5]، بالنظر إلى قاعدة أو أرضية مشتركة هي الرغبة في توحيد المفهوم؛ أي بما يسميه (فان دايك)❖ "موضوع الخطاب"[6] أو المحتوى.

بحسب وجهة نظر (دايك) في تحقيق الترابط النصي القائم على العلائق، كان لابدَّ من استحضار عامل الانسجام في عملية رتق خاصية الترابط النصي. والانسجام هنا إنما يريد به (دايك) الحد الأدنى من الترابط بين القضايا التي تعبّر عنها جملة، أو متتالية من خلال ارتباطها بموضوع، أو موضوعات التخاطب التعبيرية.

ولتحليل الانسجام النصي المفصح عن دلالية العلاقة الترابطية بين الجمل أو أجزاء الخطاب؛ سوف أوّول في تحليلي الجمل أو القضايا التي تحتويها بمعزل عن سابقاتها من الجمل والقضايا؛ لأن العلاقة بين الجمل إنما هي محددة بوصف التأويلات النسبية التي تسهم بدورها في جعل النص متماسكًا، ولعل أبرزها الآتي[7]:

1. التطابق الذاتي، سواء أكان عن طريق الضمائر المستترة والأفعال، أم عن طريق الاسم والضمائر، فضلًا عن التعالق الدلالي غير المباشر الذي يتولد منه انسجام غير مباشر بين ما يحدث عادة بين مفردات الجملة الدالة على الذوات؛ عاقلة أو غير عاقلة، جادة أو مشتقة.
2. علاقات التضمين والعضوية: في تبادلية تناسقية نابعة من تعلق الجزء بالكل، أو الملكية ذات الخصوصية، وسواءٌ أكانت ذواتًا يرفدها مفهوم: الذكورة/ الأنوثة/ الإنسانية، أم غير ذلك.
3. الحالة العادية، وهي: الوضعية العادية المفترضة للعوالم التي يشتمل عليها الخطاب كخبر تنسق فيه مسارات التعبير ودلالاته المتعالقة.
4. مفهوم الإطار لمنطلق الخطاب، زمانيًا كان أو مكانيًا أو نفسيًا.
5. التطابق الإحالي من نسق مفردي تكلّمي إلى آخر مجاور سابق أو لاحق لما قبله.
6. تعالق المحمولات دلاليًا.
7. العلاقات الرابطة بين الموضوعات الجديدة في سياق الخطاب: علاقة الرؤية، فحوى الرسالة، التذكر... إلخ[8].

أهمية تحليل الترابط النصي:

تتمثل أهمية الترابط النصي في أنه وسيلة غائية تعين في الوصول إلى كشف علائق النص ومفاهيمه والأسس التي يقوم عليها بناؤه؛ من حيث أجزاء النص وأدوات ترابطه والإيحاءات الدلالية والبنائية، ودور المفردات في الإسهام في رسم الإطار العام للنص، أو الأطر المتناسقة من مكانية إلى زمانية إلى معنوية[9].

كما أن هذه الأهمية تتمثل في أن عملية التحليل؛ بحثًا عن علائق الترابط النصي في النص، تساعد في بناء ثقافة تراكمية للناقد تعينه على الممارسة التطبيقية على وفق أسس وأنساق منطقية مقنعة معقولة، فضلًا عن أنها تساعد تجربة علم اللغة وبنائية النصوص -بصورة خاصة- الكتّاب/المتكلمين على إنتاج أنساق خطابية مبتكرة تشكل إبداعًا جديدًا قائمًا عن وعي بمكوث الخطاب اللغوي من قضايا ومواقف تشكل موضوعات جديدة.

من هنا يتضح مدى الأثر الذي ينتجه الترابط والانسجام النصي في علم النص؛ حيث إنه يكوّن جملة متواليات تفسيرية وتحليلية وتصويرية واستدراكية متضافرة؛ لتعمل معًا وفق علاقات تبادلية قبلية وبعدية، يتم فيها تبادل، معتمدًا في ذلك على مجموعة من الأدوات والوسائل اللغوية المتعددة في أداء دورها التحليلي أو التفسيري الذي يكشف لنا أبعاده ومضامينه وفق مسارات مقنعة شاملة تتكامل فيها بينها وظيفيًا، فتشمل جميع أنواع النصوص؛ منطوقة أو مقروءة، نثرًا أو شعرًا، حوارًا مفتوحًا أو منولوجًا داخليًا، أو مسرحية، بل يتعمق الترابط[10]، باحثًا عن مستويات اللغة الداخلية فيها من نداءات أو استفتاءات أو استفهامات أو تعريضات ذات دلالات معنوية، شريطة أن تكون:

أ -متناسقة ومنسجمة لغويًا.

ب -تتفاعل مع سواها من أدوات في اتجاه يهدف إلى خدمة مرامي رسالة النص وغاياتها وإبانتها.

ج - أن تكفل لنفسها في تواصلها مع غيرها أصالة ذاتية فاعلة ومتميزة يمكن أن تسهم في خلق أثر من الانسجام والاتساق اللغوي اللذين يكفلان للنص[11] أن يُصنَّف ضمن النصوص ذات القدرة على التنوير والإقناع.

إن عنصرًا يقوم بهكذا مهمّة في تحليل بنية التّخاطب لا محالة أنه يُعد بالغ الأهمية في توصيف مآلات علم النصوص مستقبلاً. وعليه، سوف أعاين الترابط النصي في خبر ثأر الشاعر امرئ القيس[12] في ضوء علم اللغة النصي من ناحيتين؛ الأولى الروابط اللفظية، والأخرى الروابط المعنوية.

أولاً: الروابط اللفظية:

يُراد بالروابط اللفظية تلك الأدوات النحوية التي تساعد على جعل مفهوم الجملة العام متوفرًا وممكنًا، وحاصلًا من خلال تضافر تلك الأدوات وأداء مهامها في الإفصاح عن مكنونات الجمل أو الخطاب أو النص مثل: أدوات العطف، وأدوات التفسير، والأدوات الترقيمية ذات السمة التعددية، وكذا الروابط الاستفتاحية، وتترابط معها الأدوات أو الروابط الاستطرادية المسهبة الإطنابية، فضلًا عن الروابط الاستدراكية والسببية[13].

1-1- روابط العطف:

بالدخول إلى نص خبر امرئ القيس الذي يمكن أن أتصور له عنوانًا تقديريًا، وهو (رحلة امرئ القيس في طلب ثأر أبيه من بني أسد)، نجد الآتي:

الخبر عبارة عن متوالية نصيرة مليئة بالعديد من المتلازمات اللفظية التعبيرية المكونة من الجمل والعبارات ذات الدلالات المتواترة في ترابط سياقها البنائي، وأسهمت فيه جملة من الروابط التكاتفية الآخذة بعضها بحجز بعض؛ لترصف مفهومًا متناسقًا كليًا نابعًا أو مبنيًا من توالي هذه الروابط اللفظية، وما تربطه من مفاهيم جزئية تعمل على إيصال رسالة النص على وفق إطارها العام. ويمكن أن يتناول ذلك جملة حروف عطف النسق، وهي (الواو، أو، الفاء، ثم، حتى، أم، لا، بل، لكن). أما عطف البيان فلا يحتاج إلى أدوات[14]:

جدول(1): روابط العطف

م	الرابط	دلالته	دوره في النص
1	**الواو**	إفادته عموم الجمع عند الكوفيين، وقيل: الترتيب عند البصريين، لكن عموم الجمع، هو ما عليه إجماع العلماء[15].	تواترت في أكثر من 39 استعمالًا، تراوحت دلالته ما بين عموم الجمع والتتابع، أو ما يسميه البصريون بالترتيب، غير أن معظم معاني العطف بالواو الواردة في نص الخبر تفيد عموم الجمع.
2	**أو**	أفادت عدة معانٍ على رأسها التخيير، وقد تفيد الإباحة، أو التقسيم، أو الإيهام، أو الشك، أو تكون بمعنى حرف العطف الواو.	خلا نص الخبر تمامًا من معاني حرف العطف "أو"، وهو ملئ بالمضامين، فترى هل يفيد ذلك إصرار الراوي على حتمية جدية (امرئ القيس في طلبه عن مضامين أو ذات الدلالات الموحية بالمفاضلة في الأمور من التخيير إلى الشك وانتهاء بالإيهام).
3	**حتى**	تفيد تحميل المعطوف بعدها بعضًا من حكم المعطوف عليه، وتربطه به غاية أو انتهاء.	وقد ورد استعمال أداة العطف النسقي الاطرادي حوالي سبع مرات، تراوحت إفادتها المعنوية بين انتهاء الغاية المكانية في استعمالات خمسة منها، تفيد مع انتهاء الغاية المكانية سمة التواصل من نقطة ابتداء إلى نقطة انتهاء مقصودة، مما يوحي بالانتظام في ترادف إحالات المدى في الإطار المكاني للرحلة؛ أي لم تكن رحلة فوضوية على كثرة محطاتها. أما الاستعمالات فهي مثل: (حتى لحقهم، وحتى كثرت الجرحى). وتفيد انتهاء المقصد المتمثل في اللحاق بمقصد، بغض النظر عن حيز المكان، تركيزًا على الغاية الأدائية، أما في الثاني فتفيد غائية التواتر والتزايد، وتفيد التراكم الكمي غير المحكوم بعدد؛ إحكامًا في تمكنه منهم ونفاذ غرضه، وهو الثأر لدرجة أن مناصريه حاولوا إقناعه بذلك، لكنه رفض رأيهم، وتخلى بعضهم عنه؛ ردة فعل حدسية تنبئ بعظم مخاطرته.

م	الرابط	دلالته	دوره في النص
4	**ثم**	إن ثم في سياق عطف النسق حرف عطف يفيد معنيين مزدوجين هما: الترتيب في الحكم، ثم التراخي في زمن حدوث الحدث أو برهته.	ورد استعمال حرف العطف (ثم) في خبر امرئ القيس ثلاث مرات متقاربة؛ في اثنتين منها يفيد المعنى المجدول له في النحو، وهو إفادة الترتيب مع التراخي في زمن حدوث الحدثين (المعطوف عليه السابق، والمعطوف اللاحق)، غير أن المدى هنا مخادع؛ لأن التوالي بين الفعلين منقطع بشيء من المكوث أو التحرك والتراوح، غير أن المعنى مقبول في السياق العام لنص الخبر من حيث تتابعه. أما في الاستعمال الثالث فتتابع متراخيًا بين حدثين؛ الأول إيحائي إفادي تواصلي وهو قول الشعر، والثاني عدمي انكفائي ينبئ عن تعطل وثواء أبدي هو (مات)؛ مما ينقل المتلقي بين مدى فعلين؛ الأول تواصلي إسماعي، وإن كانت لحظته احتضارية، أما الثاني فموحٍ بالانتهاء البائس المدموج بالتآمر.
5	**الفاء**	حرف عطف نسقي يفيد في دلالته معنى الترتيب مع التعقيب البعدي، فضلًا عن إمكانية إفادته معنى السببية.	ورد استعمالها في النص ثمان وثلاثين مرة؛ استعمالات متّسقة متراوحة بين إفادة عموم الترتيب والتعقيب وهو الأكثر، وتفيد تواصل الخبر وتزامن استمراريته دون تراخٍ أو تراجع، ثم هناك استعمالات تفيد السببية، وتعني أن الفعل الأول متسبب في حدوث الفعل الثاني؛ مما يعني عمق الترابط وإفادته البناءة.
6	**لكن**	حرف عطف يفيد الاستدراك بعد إنشاء الحدث وصيرورته المترتب عليها تصديق المتلقي، وقد تأتي ثقيلة مشددة توكيدية إيحائية، وقد تكون مخففة عاطفة في الغالب، ولها خاصية أن شرط عطفها يكون بعد نفي؛ لتفيد مفهوم التحقق اللاحق.	يكاد النص الخبري في سياقه الحكائي الروائي، أن يخلو من ورود لكن العاطفة، ولكنها استعملت ضمنًا في بيت الشعر في صدر الشطر الثاني، من البيت اللاحق دون أن يكون ما قبله منفيًا سوى أنه استعاض بالشرط الممتنع لوجود مقام بدل النفي في تبادلية ذات بعد إيحائي تحسّري يعكس حجم معاناة الشاعر صاحب الخبر وتمنيه لو أنه يموت دفعة واحدة، ولكن هيهات. فهنا العطف يجسد المفارقة ما بين التمنّي والحصول امتناعًا.
7	**لا**	هي نسقية تفيد الإضراب بالتحول عما قبلها من الكلام حكمًا، وإتيانه لما بعدها.	كما وردت في استعمالها الخبر ذا الإيحاء المعنوي الذي يفيد التردد في صدقية مضمون السياق، ومما يدعم ذلك بناء الفعل (قيل) قبلها للمجهول؛ تنصلًا من عبء تحمل صدقية الخطاب.

ذاك ما كان من أمر ورود روابط العطف في سياق الخبر، وبصورة متفاوتة ذات دلالات تربط بين مفاهيم متناغمة من برنامج نسقي يوفر علائق ترابطية مرتبة من خلال روابط العطف اللفظية التي استعرضناها في سياقات النص، توحي بانتظام تناسق أجزاء الجمل وانسجامها، مرتبة على وفق متوالية منطقية ذات أبعاد ترسم أطرًا دلالية مكانية أو زمانية أو أفقية سردية، تتقاطع من تمددات رأسية تضفي على محتوى النص تلازمًا إقناعيًا، ترفده به الدلالات المجازية المتناسخة من البناء الطبيعي العادي لمحتوى التخاطب، مدعومًا بالقضايا والأفكار التي تهب النص قدرته الإقناعية[16].

2-1 الروابط التفسيرية:

إن عملية تفسير النص من خلال الروابط التفسيرية اللفظية إنما هو نشاط جزئي منسّق ضمن منظومة تحليلية، تسهم في تسهيل فهم جوانب النص وبناه المكونة، سواء أكانت داخلية أم خارجية، ويمكن لمفسر النص أن يربط من خلال أسس عملية اكتسبها من معارف مختزنة، اكتسبها من تراكمات سابقة جراء تعاطيه من محاولات تفسيرية نصوصية[17] كوّنت لديه خبرة متراكمة؛ حيث يمكنه بوصفه مفسرًا أن يصنع بين الحالتين القديمة المختزنة بوصفها تجربة تفسيرية سابقة، واللاحقة الجديدة، تحديًا نصيًا متشابكًا شائك البناء يستطيع في عمليته تجاهها أن يستعمل روابط استنتاجية تسويغية، أو تعليلية ترفد عملية استنباطه التفسير بشيء من الكشف والوضوح. أما إذا أردنا إنزال ذلك الترابط القائم على الروابط التفسيرية في نص خبر امرئ القيس، متمثلًا في استعمال أن في عبارة: (أنه طلب منه أن يكتب له إلى الحارث... ليوصله إلى قيصر)، فسنراه كالآتي:

جدول(2): يبين الروابط التفسيرية

الرابط اللفظي	مفهومه العام	دوره العام في الخبر
أن	هي أن التفسيرية، وهي جنس من أن المخففة التي بمعنى أي، وعلامتها أن تقع بعد جملة متضمنة معنى القول دون حروفه كما في (زعم)[18].	وردت في جملة الزعم من قبل ابن الكلبي الراوي، وجاءت مفسرة للزعم؛ محوًا للشك أو الإثبات في شأن طلب امرئ القيس في الكتابة لأجل التوسط لا لغرض آخر[19]. غير أن مفهوم أن المصدرية هنا قد يكون من بعض أشياء "أن"؛ إذ يغلب عليها -على نهج الكوفيين فيها- أن المصدرية جملتها مؤولة بالمصدر الصريح، وفي كلا الحالتين يبين المقصد والمحتوى.
فَصَل	الارتحال والانتقال مودعًا عن الصاحب.	أي لما ذهب امرؤ القيس بصحبة ما أكرم به، وجيشه، مطمئنًا لنجاح خطته مع قيصر ورجوعه قاصدًا طلابه وملاحقيه.
اندسّ	انزوى بين الصفوف خفية متواريًا عن أعين الرائين.	يدل على أن بني أسد ليسوا بغافلين أو ناسين ما يريده لهم مطالبهم، وفي اللفظة إيحاء بالخدعة والخسّة والدسّ والغدر، وما في القيصر من تسرع وعدم تروٍ.

مما تقدم، يتبين في الخبر أنه يكاد يفتقر إلى الروابط التفسيرية، ما عدا القليل الذي عرضت له، ولعل هذا يدلل على أن الخبر إنما هو سرد منسوج في بُعدي المساحة المكانية والزمانية بصورة منضبطة لاإرادية أقرب إلى العشوائية؛ مما جعلها خالية من الغموض المحتاج إلى تفسير، على أن أحداث الخبر الآتية عشوائية دافعها الثورة والإحساس بالخطر أكثر من كونها مرتبة مقاصدها[20].

ولعل مبدأ تلفيق الخبر وارد، وإنما أراد ابن الكلبي إمتاع مستمعيه بغض النظر عن جدية الخبر أو صدقيته، "فقصد الراوي جمالي مداره على الفن"[21]؛ الأمر الذي جعل اختلافه سهلًا لا يحتاج إلى تفسير.

3-1 الروابط التعددية:

ليس في الخبر روابط تعددية مباشرة مثل: أولًا، ثانيًا، ثالثًا، أو كنايات العدد، ولكنما هناك ألفاظ توحي بالعدد مطلقًا بوصفه دليلاً على الكثرة، من مثل:

جدول(3): يبين الروابط التعددية

الرابط التعددي	مفهومه العام	دوره في الخبر
قصص كثير	كثير اسم معنى كناية عن الزيادة التراكمية.	بمعنى الكثرة؛ مما يوحي بأهمية المخبر عنه وطرافة ما في أخباره من محفزات ومشوقات تجعل الخوض في روايتها متناقلًا بين الناس.
أكثره	اسم تفضيل يفيد الغلبة والترجيح لميزة معينة.	يفيد اسم التفضيل في كثرة الخصوصية في تتبع أخبار المخبر عنه، وإلهاب المجالس، ولربما لغاية عصبية قبلية بين الراوي والمروي عنه.
كثرة الجرحى	كثرة الجرحى دليل على استعار الحرب وترجيح كفة الغائرين على عدوهم.	دليل على تمكنه من أعداء دمه، وغلبته لهم بما يوحى أنه أخذ منهم ثأره وزيادة، كما أن للرابط اللفظي مثيرًا آخر، وهو تحريكه لشيمة عربية أصيلة هي عدم مواصلة الحرب على المنهزم الفار؛ لأن ذلك ليس من شيم الفوارس.
خمسمائة رجل	عدد كبير، ولاسيما من الفوارس المدججة؛ لأن لفظ رجل ينبئ أنهم محاربون خبراء بمهام القتال.	إن نصف الألف من الناس المدججة في ذلك الزمان الجاهلي تنبئ عن مؤشرات منها: 1-تقدير العرب لنجدة المستنجد وبعدد لا يستهان به. 2-إن القبيلة ذات قوة ضخمة؛ لذا لا يضيرها إن وهبت خمسمائة من رجالها للنصرة. 3-قناعتهم بوجاهة مطلب الثأر واقتناعهم بجدارته؛ لأنه سليل عزّة، له حضور وشعور خطابي فاعل.
مائة من رجاله	فئة من المغاوير الضاربة، قلة لكنهم ذوو خبرة ودراية بالمهام العاجلة.	المهمة محددة ومعلومة، وهي إلقاء القبض على قتلة أبي امرئ القيس. لعل كثرة التنقل أضعف المتنقل فضعف شأنه، ولم يكن ذا قوة ومقاومة، مع استعدائه للجميع.

قياسًا إلى ما تواتر من كثرة الأخبار؛ فإن الروابط التعددية في النص لم تكن وفيرة متلازمة، يأخذ بعضها بحجز بعض مما يكسب النص سمة النظامية المنطقية التسلسلية، لكنما هي عفوية الورود؛ فلم يلحظ ذلك التدرج المبني على التصنيفات العددية، أو الرتب التنازلية، أو التصاعدية، أو في تلك المتوالية ذات النسق التراكمي الذي قد ينبئ بنتيجة حتمية منتصرة تثير سؤالين:

الأول: هل الراوي غير متأكد من تداعيات بناء النص الخبري التسلسلية التي تؤدي إلى وضوح الرؤية والهدف في مهمة الخبر الغائبة التي ينبغي أن تتناسب مع زخم شخصية أمير ذي رياستين؛ إمارة الشعر، وإمارة

الملك، غير أنه تتوافر له إمارة القيادة الحربية؛ ليحقق المقصد والفوز، سواء أكان للثأر المبرم في بني أسد أم لإعادة الملك/ السيادة المهدرين من كندة بمقتل الملك الوالد وتشتت الابن الخلف المتنازع[22].

الآخر: ربما يقصد الراوي استفزاز مشاعر المتلقي بعظم المأساة الإنسانية من أن الملك إذا حلّ بغير أهله كان عرضة للاستعداء والجور من قبل: الراعي، والرعية؛ مما يشكل مؤشر تفكك في البنية الجاهلية العربية والروح العدائية التي كانت سائدة آنذاك؛ الأمر الذي جعل الراوي يضرب على الوتر الدرامي المأساوي حتى يحدث في نفوس السامعين مفارقة تفضي إلى الصحة ولحظة التنوير، ويحصل لهم التطهير، بخاصة أن النهاية المأساوية لآخر بيت الملك المطالب بالثأر تنتهي بغدر وخيانة وطعنة من ذوي رحم من أبناء العمومة، ولكن بيد القيصر جوستنيان، متمثلة في الحلة المسمومة. إنها مأساة الغدر والخيانة، وهي التي أوصلت امرأ القيس أول أمير للشعر العربي ليموت هذه الميتة المشؤومة، ولن تدرك قيمة صاحب الخبر إلا إذا نظر أحدنا عبر التاريخ مسائلًا: كم هم الشعراء منذ الجاهلية إلى اليوم الذين قتلوا غدرًا، ولماذا؟

4-1 الروابط الاستنتاجية:

جدول(4): يبين الروابط الاستنتاجية

الرابط الاستنتاجي	مفهومه العام	دوره في الخبر
فهربت	الهروب تقهقر وانهزام أمام العدو أو الشدائد	دلالة على الهزيمة أمام سطوة امرئ القيس ورجاله وقوتهم.
عادوا وتركوه	العدوة الرجوع عن الرفيق	دلالة على إحساسهم بأنه (صاحب الخبر) لا هدف واضح له، وإنما هو إنسان متشفٌ مغرم بالدماء.
يتبعه	يلاحقه يريد الانتقام منه	يبدو أن اللفظة تدل على أن بين امرئ القيس والمنذر عداوة وغبنًا قديمًا؛ الأمر الذي أخذ طابع التحدي والملاحقة.

هذا مجمل ما كان من روابط لفظية استنتاجية استثنائية خارج إطار العمق النصي، وفي ذلك استدلال على تعمد الراوي إيهام مستمعيه بصدق الخبر وعفويته، فقدمه بأسلوب أظهر سطحيته ومستوى السبك القائم على التتبع السردي غير المعقد، والمتتابع في جملة متوسطة بين الطول والقصر ذات معان مباشرة خالية في الغالب من المعاني الثانية ذات الظلال والدلالات[23]، وهو عكس ذلك. وهكذا هي سمات الأخبار التاريخية التي ينقلها الرواة ذات النفس المتواصل، لدرجة قد توهم بخوائية المحتوى عن وعي مقصود به الإسقاط اللامباشر في وعي المتلقين ذوي الشفافية اللمّاحة في التقاط الصور والمغازي الدلالية التي قد يفقدها التعقيد اللفظي العضوي والمباشر في خلق جو الإمتاع العام المشحون بالتعاطف والاحتفائية والإعجاب بطول النفس في مكينة الشدّ السردي الحكواتي الرتيب، إذا استحضر القارئ مع ذلك دلالية الأنس والسمر التي عادة ما كانت تمتطي صهوة الليل الفارهة، فـ"العرب حكاؤون بفطرتهم، يغرمون بهذا اللون من المتع الفنية في سمرهم المتصل بالليل في أثناء تجمعهم"[24].

5-1 الروابط اللفظية الاستطرادية والاستدراكية:

إن الخبر يخلو من هذين النوعين من الروابط الاستطرادية الاستدراكية، وكأنما استغنى الراوي ابن الكلبي عنهما بخاصية التتابع الربطي؛ من حيث روابط العطف، ولديها من قوة الربط التتابعي في (الواو وحتى) ما يجعلنا نتساءل: ترى هل يعني ذلك أن الخبر ينتمي إلى مرحلة ابتدائية من عمر النصية العربية الأولية التي لم تكن قد غرقت في حبائل البلاغة وعلوم البيان والبديع القائمة على الأدلة والبراهين والتسويغات؛ مما يخلق كلًا من آليات الربط الاستطرادية، والاستدراكية، والإنتاجية، وهذه لمحة قد تكون أدخلت في تاريخ إنتاج الكلام العربي؟

7-1 الروابط اللفظية السببية:

جدول(5): يبين الروابط اللفظية السببية

الرابط التعددي	مفهومه العام	دوره في الخبر
فلذلك سمّي ذا القروح	مركب من فاء السببية + اللام التعليلية + اسم الإشارة ذا +لام البعد + ك الخطاب وسبكها الدلالي مجموع للسببية سياقًا[25].	تبين علّة تسميته بذي القروح، ورجوع ذلك إلى الحلية المسمومة المرسلة إليه من جوستنيان النضرة.
فأخبر بقصتها، فقال	الفاء في: (فقال) جاءت للسببية	أفادت فاء السببية أن القول الشعري سببه معرفة أمر المدفونة بنت الملوك.

كما هو ملاحظ أن في الخبر مواضع عديدة كان يمكن أن تثار فيه التعليلية السببية، لكن الراوي آثر بسط الكلام هكذا دون أن يسهم في تعطيل جريان مساره التشويقي الرائق.

ثانيًا: الروابط المعنوية:

1-1 آلية الانتقال من السرد الخبري البسيط إلى المستوى المعقد:

يمكن أن يثار تساؤل هنا مفاده: هل عندما يكتب الكاتب الخبر أو ينقله الراوي مؤلفًا جديدًا يكون للراوي إستراتيجية واضحة في ذلك للوصول إلى بر القناعة؟

يبدو أن المسألة بحاجة إلى تصنيف؛ إذ إن المغزى من صياغة الخبر، أو مدى احترافية الراوي وخبرته في إشاعة الأخبار وإنتاجها تكون ذات أدوار مهمة في فهمٍ للمقاصد المعنوية الجزئية التراكمية المتجانسة، رصفًا مقنعًا للوصول إلى تجسيد المعنى الكلي متناسقًا، في حيادية تجعل الألفاظ رداءً شفيفًا له، يكسبها قوامًا، وترفده تدفقًا متسلسلًا متناميًا على درجات في تدرجه من لحظة الانطلاق وحتى نقطة إيصال المغزى المراد[26].

إذا كان الأمر كذلك فالقارئ ليس أمام عملية ناقل ومنقول لفظًا ومعنى، بل إنه أمام ديناميكية إبداع إنتاجي حقيقية، تحتاج من الراوي إلى وعي وحصافة وقدرة على الانبساط والالتفاف والتحور، وربما التمثيل والتقمص في بعض الأحيان؛ مما يعيدنا مرة أخرى للسؤال: هل نحن أمام عملية سرد روتيني يمارسه علينا الراوي كل يوم، ثم ينصرف عنا، محققًا أهدافًا خاصة به نحن نجهلها، أم أن المسألة -أي دور الراوي - هي عملية صناعة متكاملة لها مدخلات إنتاجها ومؤثراتها وخبراتها ومساراتها التي تتفاوت من راوٍ لآخر[27].

وكي لا تترك هذه التساؤلات مفتوحة، أو يكون التناول سطحيًا؛ فلابد من تلمّس ذلك من خلال الروابط المعنوية المتبادلة ثنائيًا في هيكلة نص خبر امرئ القيس طالبًا ثأر أبيه.

إذا نظر القارئ إلى الخبر سيجد أننا لم نتلقه مباشرة من ابن الكلبي الراوي، ولكنما هو (ظاهرة) موروثة متناقلة بدليل رأي الموصّل إلينا في قوله: (إذ يزعم)، فكأنما ابن الكلبي ينقصه التثبت والصدق فيما نقل من أخبار، وإنما هو مجرد (مترجم) يمتهن التأليف؛ إما استرزاقًا إمتاعيًا، وإما تعاطفًا عرفيًا مشوبًا بالضبابية ذات التعنصر، تمكنه من الوصول إلى مرادات نفوس السامعين الشغوفين بكل ما يسقط عليهم تاريخ أجدادهم على طريق السوق والمخادعة التي عرف بها رواة الأدب الشعبي العربي الأسطوري، سواء أكان مختلفًا أم كان له قواعد انطلاق شخصانية حقيقية كـ(عنترة - كليب - الزير سالم - أبو زيد الهلالي - زرقاء اليمامة)، أو كانت منتجة فوبيائية تبريرية، مثل (قصص السعالي والأغوال ذوات الرؤوس، وبحار السراب) (الفانتوم)، وغيرها من الاختلاقات الطوطمية ذات السمات الخرافية المفرزة إلينا من أيام طفولات الشعوب والبدائيات الأولى قبل إلهام الكتب السماوية أو الكشوف الفتحية[28].

إذا سلم القارئ جدلًا بأن الراوي إنما يقوم بمهمة إنتاج النص بوصفه عملًا احترافيًا يوميًا لا يرمي من ورائه إلى محاولات لكشف الحقائق وملابسات الأقوال والأحوال

البائدة بعيدًا عنا، فإن علينا أن ننظر إلى الخبر على أنه منظومة فرضيات متداعية متوالية، ذات نقطة انطلاق ومنتهى متوقع محتوم، وفي ما بين البداية والمنتهى تكمن المعاني والآراء والأفكار والمقاصد ودفقات الشعور، وسيحات الوجدان وانفتاحات الوعي المعقول الواعي والباطن المحدق، وصولًا إلى الخيال بآفاقه وتوقعاته، ثم تكامل المضمون الكلي.

وعليه، يظهر أن بدايات السرد الخبري البسيط عند ابن الكلبي (الراوي) تبدأ بارتجال الثأثر، مشيعة بالبنية المبطنة (رغبة الثأر)، لكن لا قوات ولا عتاد. ثم ينتقل بنا الراوي إلى حيلة الترحل من ديار عربية منشودة الرجال إلى أخرى قد تتجاوب أو ترفض التعاطف معه -ترى هل من يقينية جدية في هذا الطلب؟ بخاصة إذا صدمنا بتخبط طلب الثأر، ومغالطة أنه لا يميز بني أسد من كنانة؟ إنما يضطره إلى وضع السلاح ونزع الاعتراف من كنانة وتركهم وشأنهم لملاحقة العدو المخاتل الفار بني أسد، ثم ملاقاتهم وهزيمتهم وهربهم بليل منهزمين أمام فتكه بهم ومعاونيه بكر وتغلب معًا.

مرحلة أخرى هي ما بعد تخلي بكر وتغلب عنه، واستنصار أزد شنوءة ورفضهم التجاوب معه، ثم مرحلة بني حمير، ثم مرحلة المناذرة، فالطائيين من تيم، وصولًا إلى الشام فالغساسنة، فبلاد قيصر (تركيا) الروم سابقًا.

2-1 آلية السؤال والجواب:

لم يصرح الراوي بصيغ على طريقة ضمير المتكلم المباشرة، وإنما أناب عنه بضمير الغائب (هو)، مبينًا ذلك عبر الفعل المحكي: (فسألهم النصر على بني أسد قاتلي أبيه)، فجاء الجواب تلقائيًا من بكر وتغلب الموصومين بالنخوة والإغارة؛ لما يقول فيهم الشاعر بوصفهم أبناء عمومة:

وأحيانًا على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

المفارقة أنه لا الغازي طالب الثأر ولا مشايعوه من بكر وتغلب يدركون سحنة العدو وحقيقته!! حتى يضع السلاح في غيرهم (بني كنانة). ألا تظهر مفارقة هنا، وهي عبثية خوض الحروب والدخول في أتونها عادة لا تكتيكًا ولا إستراتيجية.

ما يؤكد ذلك جدلية سؤال الثائر لبني كنانة سؤالًا مبطّنًا: هل أنتم بنو أسد؟ ثم تأتيه الإجابة الاستنتاجية؛ الأمر الذي جعله ينزع السلاح عنهم، باحثًا عن عدوه الحقيقي الفار المخاتل، فما أشبه الأمر هنا بمغامرات دون كيشوت، ومحاربة طواحين الهواء، كذا هناك بوادر سؤال وإجابات قد تكون مبطنة من قبل زعماء القبائل حين يحل عليهم امرؤ القيس ورجالات العرب الكرماء، مستفسرين منه: عن مراده ووجهته إلى أين؟ وما غايتك؟ فتكون إجابته النمطية التي لم يصرّح بها الراوي -ولو شاء لفعل - وهي: قاصد أعدائي بني أسد قاتلي أبي. فيعينه من رأى الوقوف معه، ويصرفه من لم يرَ من الحكمة إهلاك الرجل ومن معه فيعتذر.

هنا آلية السؤال والجواب مناشدة قائمة مصحوبة بالتماس فيه إباء وعدم إذلال، ولعل في بعضها تهديدًا ووعيدًا على اعتبار ما سيكون من عواقب ظنية حميدة في حال هزيمة أعدائه وإقامة ملك آبائه.

صيغة السؤال تظهر مرة أخرى، ولكن بصيغة غير صريحة محكية: (فطلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن جبلة بالشام ليوصله إلى قيصر كبير الروم). ويبدو أن الإجابة أيضًا جاءت تلقائية مسكوتًا عنها ولم تُقل، غير أن ظواهر الأمور تشير بالإيجاب بدليل أنه استودعه أهله وأمواله (والمفارقة) وما معه من سلاح، كيف؟ ربما يريد الظهور بمظهر المتجرد المكروب المحتاج لنصرة قيصر والتعاطف معه.

أيضًا بعد الوصول إلى القيصر، تفلت من الراوي جدلية السؤال، فيجري التجاوب مباشرة من القيصر بأن

يمده بجيش كثيف ليعود به لإعادة مواصلة التأديب لأعدائه بني أسد، فهل يفهم هنا أن الخطاب المحمول من الحارث بن جبلة الغساني كان بمثابة السؤال والجواب، مفهومًا ضمنًا؟ غالبًا ما يكون الأمر كذلك، غير أن هذا مستوى من التعقيد جدّ رفيع، ومستوى في التخاطب أدخل في الإيحائية والرمزية.

1-3- آلية الربط المعنوي عبر العام والخاص:

العام هنا ذو مسارين من حيث المفهوم المعنوي:

أ - جو النخوة وولاية الدم المهدر، وليس أي دم، وإنما هو دم ملك، ومن ثم ضرورة المطالبة به، ولن تكون مطالبة عادية، بل هي جائحة انتظام عامة يتشايع فيها الجميع.

ب - جو التعاطف العام وإرادة رد الظلم؛ نصرة للأب المظلوم والابن المكلوم المنتبه من غفلته توًا، لا يملك الرجال ولا العتاد لتشتت ملك آبائه، زهدًا من قومه في الالتفاف حوله؛ لأنه غوي ماجن.

كما أن لخصوصية الدافع الداخلي المحرك لسير الأحداث؛ جراء دوافع داخلية يهيجها التذكر، ويذكيها الشعور الداخلي، تأنيب الضمير، فتثور حراكًا عدائيًا انتقاميًا لا يرضى الهدوء، فيترجم ذلك أفعالًا ومفردات موحية في مثل:

ارتحل / نزل / سألهم / أقبل / انتهى / مضى لوجهته / لحن / استأجر/ فخرج / ولّى/ طلب / فلجأ / استودعه / فصل.

إنها ألفاظ تعكس خصوصية الإرادة في السير والانتقال واتخاذ القرار، وإن كانت الظروف في بعض الأحيان تلجئه إلى اتخاذ قراراته وتوجهاته؛ إذ تتعارض الخصوصية مع سطوة الأعداء فيحصل له الانكسار.

إن سيطرة الراوي (ابن الكلبي) على إرادة البطل صانع الحدث (امرئ القيس) بوساطة الحكي الوصفي، وحرمانه من الإفصاح عما يريد فعله على طريقة ضمير المتكلم الذي كان ظهوره الخاص أكبر وأصدق، يكشف عن المكونات التي غيبتها سيطرة الراوي على اختيار المفردات والألفاظ إنابة عن صانع الحدث.

ينسرب العام في مسارات، منها:

1. جمع التكوين السكاني المتمثل في إنسان الجزيرة العربية ذي الخصوصية الديموغرافية المصانة بمكانة زعيم القبيلة وفرسانها وأعيانها وشعرائها؛ مما خلف إطارات متناثرة فسحت للثائر عن طريق الراوي الانتقال من منطلق لآخر.
2. بين هذه المساحة السكانية هناك مجموعات ثلاث تندرج تحت النطاق العام:

- مجموعة مناصرة داعمة.
- ومجموعة متعاطفة إنسانيًا مكرمة، وترفد بالطعام والزاد وليست داعمة في الحرب والرجال.
- مجموعة معادية؛ إما لعداوة قديمة لقبيلة كندة ولشخص امرئ القيس، وإما مشايعة لبني أسد.

هذه الإطارات الديموغرافية الداخلية في الحيز العام أسهمت في خلق جوٍّ من التدافع الذي يكشف عن طبيعة التشتت والتفكك اللذين كانا يسيطران على الجزيرة العربية، وهو الفراغ الناتج عن عدم وجود حاكم واحد ذي سطوة كاريزمية يستطيع توحيد أجزاء جزيرة العرب رغم أنوف الجميع، ويستطيع منع المظالم والاعتداءات والانتصار للمظلوم كما في مجتمعات فارس وبلاد الروم.

هذا التقاطع الحاد بين الخاص والعام في مسرح حراك الخبر المروي الممتد عبر الجزيرة العربية من حمير إلى طي، مرورًا بديار فزارة وتيماء، دخولًا إلى الشام، وانتهاء إلى بلاد الروم، إنما يبرز ليكشف عن حقيقة مأساوية سافرة كانت تسود المجتمع الجاهلي، وهي قانون الغاب، وأن القوي هو ذو الرياسة والغلبة، وهو مؤشر درامي يصلح أن يكون مؤشرًا لضرورة تدخل إرادة السماء عبر نبي رسول يملأ الأرض عدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا.

وكذا يكشف المستوى العام للخبر أيضًا أن مظاهر التفكك والتشرذم العربي تصلح مناخًا لأن يتحكم الغريب القوي البعيد المتوحد، كأن يحاول تأكيد امتيازه على جيرانه العرب من خلال جعلهم دائمًا محتاجين إليه، وأنه زاهد فيهم؛ إشباعًا لغريزة استعلاء ملوك العجم.

4-1 آلية الزمن بوصفه رابطًا معنويًا:

من المعلوم أنه لابد لأي خبر أن تتوافر له -على الأقل - ثلاثة حيوز:

1. حيز الزمان.
2. حيز المكان.
3. حيز الصراع الذي يضمن حراك الحدث. وهذه الحيوز الثلاثة تضمن للخبر آليات حدوثه وتناميه وتطوراته المسارية: (بداية، عقدة، نهاية).

غير أن حيز الزمن هو العامل الأهم؛ لأن في انفساحه الدوراني: ليل / نهار معادلًا لإكساب المكان سمة الديمومة، وللصراع إمكانية التجدد والاحتواء المعنوي الذي يرسم مساراته[29].

وأبرز ظهور للزمن بعد إشارة التحرك مجهولة المكان لابتداء الخبر، نجد الزمن يظهر كأنه حاجز مانع مخلّص لبني أسد من الإبادة في قول الراوي (حجز الليل بينهم)، ثم تظهر مرة أخرى في (أصبحت) كانجلاء للأمور -برز أثر ذلك الحيز الزماني في جعل بكر وتغلب تغيران قناعاتهما، وتتخذان قرارًا بعدم المواصلة؛ لأمرين هما:

1. تمكن الثائر من عدوه وأخذ بثأره قتلًا وهزيمة لبني أسد.
2. من جراء حصيلة عدد القتلى التي كشف عنها الصباح - (حيز زمني) أثبتت قناعة في نفوس بكر وتغلب بوصفهم خبراء غارة وحرب أنه لم يعد هناك عدو يستحق أن يقاتل، وإلا صارت الحرب عبثًا، وهذا المستوى من التعقل مطلوب، ويعد شيمة عربية كريمة. ومستنتج آخر هو أن ملاحقة العدو الفار ليست من المروءة ولا الشهامة العربية؛ إذ أثّر الزمن في سياق الخبر وحرارة عنفوانه عنصر تنفس قسري جعل الأحداث تجري في مسار جديد غير مهتدٍ؛ إذ تظهر في قول الراوي: (ومضى لوجهه) بكل ما في العبارة من الحسرة والشعور بالوحدة وانفضاض السامر من حوله بالأمس، وكان قائدًا مظفرًا.

ثم نصادف لازمة زمانية تكاد تكون خالية من الدلالة بعد انقطاع ألفاظ حيز الزمن، وهي قول الراوي عن القيصر وهو (حينئذٍ) جوستنيانا، كأنما يريد أن يشير إلى أنه جمع بين الملك ورياسة الكنيسة؛ بوصفه كبير أساقفة ذاك الزمان لدى الرومان.

كذلك استعمل الراوي اللفظ (لمّا) ، وهي في أقرب معانيها ظرف لما حان ومضى من الزمان تفيد حصول الانقضاء برهة، وهي في الخبر تشير إلى تربص الطماح وتحيّنه لزرع الفتنة بين القيصر وامرئ القيس؛ انتقامًا من مطاردة بني أسد. والطماح رسولهم بالدسيسة، وقد أوردها الراوي في عدة مواضع (ولما فصل/ وأنه لما انصرف / فلمّا وصلت إليه / فلمّا صار)، فأفادت لمّا المركبة لم النافية + ما الظرفية[30] فواصل زمانية تمنح تجددًا في مسير الحدث.

وآخر لازمة زمانية في الخبر جاءت عرضًا في بيت الشعر قبل الأخير فأتى الخبر مصورًا مقولة امرئ القيس: (وإني مقيم ما أقام عسيب) فـ(ما) هنا تفيد الظرفية؛ أي مدة قيام الجبل، دليلًا على قناعته بانتهاء أجله وأن موته محقق.

5-1 آلية الرابط من المألوف إلى غير المألوف:

يكاد يكون مسار الخبر كله مألوفًا إلا من بعض إشارات تفرد تساؤلًا كما فعل الراوي عند بداية الخبر دون تحديد نقطة الانطلاق المكاني والزماني، وإنما جاء بهما مبهمين زمانًا ومكانًا، في قوله: (أنه ارتحل حتى نزل بكرًا وتغلب) سؤال يفرض نفسه من أين؟ ومتى ارتحل؟ وهذا

من غير المألوف، لكنه قد يقبل مبررًا من منطلق أنه كان في ديار المناذرة حتمًا؛ فجاءه خبر قتل والده، وقال مقولته الشهيرة: (اليوم خمر وغدًا أمر)، وفي (رواية: وغدًا سينجلي الأمر).

غير المألوف أن تهرب قبيلة بني أسد بكل ما عُرف عنها من وجه هذا الثائر الفرد، لكن قد يكون طلبته بعض من بطون بني أسد الغاتلة الغاشمة، وهم بعض من شذاذ العرب وصعاليكهم في الجاهلية(31).

مألوف أن يكون لبكر وتغلب رأي ونظر وبصيرة يجعلهم قادرين على تقدير الأمور ومعرفة المقادير؛ ما يجعلهم أصحاب قرار وعزيمة تجعلهم قادرين على إنفاذ ما يرون دون إملاء أو سلطة من أحد حتى ولو كان امرأ القيس. فيسلم ذلك إلى نتيجة طبيعية، وهي من المألوف أن من يعاند ويبالغ ينفذ رأيه سينفض سامره ونصيره، ويبقى وحيدًا هائمًا على وجهه كما نص الراوي بقوله: فخرج امرؤ القيس على وجهه حتى نزل في أرض طيء.

من المألوف الوساطة والتوصية وطلب التزكية كما يتبادر، ففي مسار محطات الخبر، من بلاد فزارة إلى تيماء إلى الشام، لكن من غير المألوف أن يترك سلاحه وعتاده وأهله وأمواله عهدة مأمنة، ويذهب إلى القيصر في سلبة وفاقة!! اللهم إلا إن كان من وراء ذلك مغزى مقصود لذاته بوصفه دلالة رمزية، أو حيلة تفسر بإحدى نقطتين:

1. وكما ذُكر آنفًا أنه يريد الظهور بمنظر المتجرد المكروب المغلوب على أمره؛ درًا منه للشفقة والتعاطف والنصرة.
2. وإما للفت نظر القيصر إلى سوء حاله بعد عزته، وهو ابن الملوك؛ ما يقتضي إثارة حمية القيصر ونصرته لإخوانه الملوك إباءً لمذلتهم.

ومن غير المألوف أن يكون القيصر وهو جوستينيان سمّاعًا لهكذا دسيسة من أعرابي غريب لا يتثبت منه؛ لينقلب على قرار أبرمه، وجيش عقد لواءه، لذا فإن في الأمر نوع من الاختلاق والانتحال.

كما أنه من غير المألوف أن يظل الإنسان متماسكًا لآخر نفس، وهو يعاني جراحات السموم والقروح، فينتبه إلى ما حوله من مظاهر، ثم يقول شعرًا واعيًا مخاطبًا به من تماسكه، لدرجة أنه تسير به الركبان في كل زمان ومكان، و من غير المألوف أن يتّجه صوب بلاد الروم عند القيصر، ولم يتجه صوب كسرى صاحب الفرس ومليكهم.

الخاتمة:

هكذا تبين أن الروابط اللفظية والمعنوية في تضافرها في بناء جسم النص، أمكنت الراوي من إيصال مضامينه إلى المتلقين في مضمون رسالة واضحة كاملة شكلًا ومضمونًا، في حبكة ذات سلاسة وحراك ينتهي إلى نهاية مصيرية مأساوية تجسد لنا النتيجة الحتمية للطيش وركوب الشهوات والهوى، ثم مغبة الصحو من ذلك مؤخرًا في دوامة التخبط والحيرة والتوهم، فتصبح المقاصد ملغومة مخادعة، والعدو صديقًا والصديق عدوًا. هذه هي المفارقة الكبرى والمأساة الاجتماعية؛ لأن الضحية في النهاية فرد من المجتمع ضائع، وما ضياعه إلا ضياع لمنظومة القيم والمبادئ غير المرعية، وضريبة لإطلاق الحبال على الغارب للأبناء دون تحسب لعواقب الأمور ونتائجها المأسوية المهلكة.

ويخلص البحث إلى أن هذا الخبر عبارة عن متوالية نصية تضم العديد من المتلازمات اللفظية التعبيرية المكونة من الجمل والعبارات ذات الدلالات المتواترة في ترابط سياقها البنائي، أسهمت فيه جملة من الروابط المتكاتفة الآخذة بعضها بحجز بعض؛ لترصف بناءً متناسقًا كليًا نابعًا أو مبنيًا من توالي هذه الروابط اللفظية، وما تربط من مفاهيم جزئية تعمل على إيصال رسالة النص وفق إطارها العام.

واتضح من كثرة استعمال الراوي لرابط الواو بهذه الكثافة، هذا الكم من الحركة والتحول وانفساح الغايات

الناتجة عن عملية الربط بهذا الرابط، لدرجة أنه يدل على أن الراوي ابن الكلبي لم يكن موفقًا في فهم مراد امرئ القيس من تحركه أساسًا، فكأنما المراد بسرد الرحلة وتعدد محطاتها ليس فقط قصد إظهار الثأر، وإنما هناك دافع أقوى هو استرداد ملك أبيه المبدد غيلة.

وإن صح هذا الحدس الظني في مقصد شخصية الخبر الرئيسة/ امرئ القيس، وهذا ما نظنه صحيحًا أن طالب الثأر يكون واحدًا من ثلاثة أمور:

أ -إما أنه لطيشه ومجونه؛ أصبح مغاليًا في طلب الثأر لدرجة أن بكرًا وتغلبًا نبهوه إلى أنه قد بلغ ثأره، وقفلوا راجعين.

ب -أو أنه اعتاد حياة اللهو والمجون، ولم يدرك ما التخطيط وكيفية الوصول إلى الهدف؛ وبالتالي أصبح مشتتًا لا يعي ماذا يريد أهو الثأر أم استرداد ملك والده وأجداده.

ج -أنه كان حقيقة يريد الثأر واسترجاع ملك آبائه وأجداده، ولكنه كان واثقًا من أن قدراته القيادية ونفسه المولعة لا تستطيعان الصبر على الاستقرار ورتابة السلطان وقيوده؛ فلذا فضّل التعلل بالمبالغة في الثأر؛ بوصفه معادلًا موضوعيًا لفراره من المسؤولية.

وهكذا اتضح أن للروابط اللفظية والمعنوية في تضافرها أثرًا في بناء جسم النص؛ بحيث أسهمت في إيصال مضامين الراوي ابن الكلبي إلى المتلقين عبر رسالة تكاملت شكلًا ومضمونًا في حبكة ذات سلاسة وحركية آلت إلى نهاية مأساوية.

الهوامش:

(1) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط (1)، 1419هـ، ص(35 -36).

(2) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب؛ وبيروت، لبنان، ط (1)، 1991م، ص(31).

(3) ينظر: المصدر السابق، ص(32 -33).

(4) ينظر: دومينيك مانقونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، ط1، دار الاختلاف، الجزائر، 2005م، ص(34).

(5) ينظر: لسانيات النص، ص(34).

❖فان دايك: مؤلف كتاب في اللسانيات والخطاب، وضع فيه نظرية لسانية للخطاب. انظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 1421هـ، 2001م.

(6) ينظر: علم النص، ص(79).

(7) ينظر: المرجع السابق، ص(53).

(8) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه، وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1419هـ، ص(39).

(9) ينظر: الثقافة والنقد الثقافي، عز الدين إسماعيل، ط(1)، المنار العربي، مصر، 2009م، ص(353).

(10) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص(15).

(11) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر، ص(5).

(12) ينظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 14412هـ، 97/9.

(13) ينظر: اللسانيات، سمير شريف استيتية، ص(481).

(14) ينظر: الثقافة والنقد الثقافي، عز الدين إسماعيل، ص(353).

(15) ينظر: معاني القرآن، الفراء، 396/1،

(16) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق، عن دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط(1)، 1987م، ص(137).

(17) ينظر: جانب غائب في دراسات الجملة في النحو العربي، فالح بن شبيب العجمي، مجلة جامعة الملك سعود(الآداب)، م7، ع2، 1995م، ص(399 - 441).

(18) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ط(15) دار المعارف، مصر، 173/1.

(19) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط(22)، 1403هـ -1983م، ص(221).

(20) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص(46 -47).

(21) الخبر في الأدب العربي، محمد القاضي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص(185).

(22) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ص(293).

(23) ينظر: مقدمة في علم اللغة التطبيقي، محمد خضر عريف وأنور نقشبندي، دار القبلة، جدة، ودار حضر، بيروت، ط(1)، 1993م، ص(24).

(24) أديب الأسطورة عند العرب، فاروق خورشيد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة 282، الكويت 2002م، ص(75).

(25) ينظر: الجني الداني في حروف المعاني، الحسن أبو القاسم المرادي، ص(108). وينظر: شرح الحدود النحوية، جمال الدين الفاكهي، تحقيق: صالح العايد، إدارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1411ه، ص(215).

(26) ينظر: علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم، ج1، ص(49).

(27) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وآخر، ص(50).

(28) ينظر: البنيوية وما بعدها، جون إسترول، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة رقم 206، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1996م، ص(38 -39).

(29) ينظر: أبعاد العربية دراسة في فقه اللغة ، فالح بن شبيب العجمي، ط(1)، مطابع الناشر العربي، الرياض، السعودية 1415هـ، 1994، ص(109).

(30) ينظر: الجنى الداني، المرادي، 101/1.

(31) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، 98/9.

قائمة المراجع:

1. أبعاد العربية دراسة في فقه اللغة، فالح بن شبيب العجمي، ط1، الرياض، مطابع الناشر العربي، السعودية، 1415هـ، 1994م.
2. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط6، خاصة بوزارة الشؤون الإسلامية السعودية، بيروت، المكتبة العصرية، 1424هـ.
3. أديب الأسطورة عند العرب، فاروق خورشيد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة 282، 2002م.
4. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ.
5. البنيوية وما بعدها، جون إسترول، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة رقم 206، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1996م.
6. الترابط النصي في سورة الكهف، حسني عبدالسميع وحسنة عبدالسميع، مجلة الدراسات القرآنية، المركز الإسلامي، مطبوعات أدنبرة، المجلد (9) العدد (3)، سنة 2007م.
7. جانب غائب في دراسات الجملة في النحو العربي، فالح بن شبيب العجمي، مجلة جامعة الملك سعود(الآداب)، المجلد (7)، العدد (2)، سنة 1995م.
8. الخبر في الأدب العربي، محمد القاضي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
9. الدرة الفنية في أهم علوم العربية، رشيد حويل عيد الحربي، ط1، جدة، دار المجتمع، 1997م.
10. شرح كتاب الحدود في النحو، جمال الدين بن عبد الله الفاكهي، دراسة وتحقيق: صالح بن حسن العايد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1995م.
11. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ط1، القاهرة، دار قباء للطباعة، 2000م.
12. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ.فان دايك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، ط1، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، 2001م.
13. القراءة والتأويل في مجلة الثقافة والنقد، مطابع المنار العربي، إمبابة، مصر العربية.
14. اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، سمير شريف استيتية، القاهرة، عالم الكتب الحديث للتوزيع، 2008م.
15. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991م.
16. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، ط1، نسخة مترجمة مصرح بها خاصة بجامعة الملك سعود، الرياض السعودية، مطابع جامعة الملك سعود 1419هـ.
17. المغني الكبير، قاموس اللغة الكلاسيكية والمعاصرة، حسن الكرمي، ط1، بيروت، مكتبة لبنان 1988م.
18. المفاهيم تكونها وسيروريتها، محمد مفتاح وأحمد بو حسن، ط1، رقم 87، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط، المغرب، الرباط، مطابع الدار البيضاء، 2000م.
19. مقدمة في علم اللغة التطبيقي، محمد خضر عريف وأنور نقشبندي، ط1، دار القبلة، جدة، ودار خضر، بيروت، لبنان1412هـ، 1993م.
20. المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، بيروت، دار المشرق، مطبوعات المكتبة الشرقية، ط28، 1986م.